

تفسير البحر المحيط

@ 212 @ فاستعار الشجرة لذلك ، وهذا قول متكلف . .

{ نَزَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرَةً } : أي لنار جهنم ، { وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ } : أي النازلين الأرض القوا ، وهي القفر . وقيل : للمسافرين ، وهو قريب مما قبله ؛ وقول ابن زيد : الجائعين ، ضعيف جداً . وقدم من فوائد النار ما هو أهم وأكد من تذكيرها بنار جهنم ، ثم أتبعه بفائدتها في الدنيا . وهذه الأربعة التي ذكرها الله تعالى ووقفهم عليها ، من أمر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم والمشروب . والنار من أعظم الدلائل على البعث ، وفيها انتقال من شيء إلى شيء ، وإحداث شيء من شيء ، ولذلك أمر في آخرها بتنزيهه تعالى عما يقول الكافرون . ووصف تعالى نفسه بالعظيم ، إذ من هذه أفعاله تدل على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والإنشاء . .

قوله عز وجل : { فَلَا أُقْسِمُ بِمَا وَقَّعَ الذُّجُومَ * وَإِنَّهُ لَلْقَسَمُ لَـَّوْ
تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّ زَـَّهَ لَقُرْآنٌ ءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَّكْنُودٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأُمُّطَهَّارُونَ * تَنْزِيلُ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَآذَا
الْحَدِيثِ أَنتُم مَّدُّوهُنَّ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَزْكَكُمْ تَكْذِبُونَ *
فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ * وَأَنتُمْ حِينئذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ * وَلَـَّكِن لَّا تُبْصِرُونَ * فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ
مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُفْقَرِّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ * وَجَنَّةٌ * نَّعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ
مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَـَّلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ
كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ * فَذُرْلٌ * مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلَـَّيْةٌ
جَحِيمٌ * إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ .

قرأ الجمهور : { فَلاَ أُقْسِمُ } ، فقليل : لا زائدة مؤكدة مثلها في قوله : { لَئِنَّـلَاَـ }
يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ } ، والمعنى : فاقسم . وقيل : المنفي المحذوف ، أي فلا صحة
لما يقول الكفار . ثم ابتداء أقسم ، قاله سعيد بن جبير وبعض النحاة ؛ ولا يجوز ، لأن في
ذلك حذف اسم لا وخبرها ، وليس جواباً لسائل سأل ، فيحتمل ذلك ، نحو قوله { لا } لمن قال
: هل من رجل في الدار ؟ وقيل : تأكيد مبالغة ما ، وهي كاستفتاح كلام شبهه في القسم ،
إلا في شائع الكلام القسم وغيره ، ومنه . . .

فلا وأبي أعدائها لا أخونها .

والأولى عندي أنها لام أشبعت فتحتها ، فتولدت منها ألف ، كقوله : .

أعوذ بالله من العقرب .

وهذا وإن كان قليلاً ، فقد جاء نظيره في قوله : { فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنْ

النَّاسِ } بياء بعد الهمزة ، وذلك في قراءة هشام ، فالمعنى : فلأقسم ، كقراءة الحسن وعيسى ، وخرج قراءة الحسن أبو الفتح على تقدير مبتدأ محذوف ، أي فلأنا أقسم ، وتبعه على ذلك الزمخشري . وإنما ذهب إلى ذلك لأنه فعل حال ، وفي القسم عليه خلاف . فالذي اختاره ابن عصفور وغيره أن فعل الحال لا يجوز أن يقسم عليه ، فاحتاجوا إلى أن يصوروا المضارع خيراً لمبتدأ محذوف ، فتصير الجملة اسمية ، فيقسم عليها . وذهب بعض النحويين إلى أن جواز القسم على فعل الحال ، وهذا الذي اختاره فتقول : والله ليخرج زيد ، وعليه قول الشاعر :